منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية *

مقلاتي صحراوي**

مدخل العرض

قال الزرقاني رحمه الله: "وقال عبد الرحمن بن مهدي: (ما بقى على وجه الأرض آمنَ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك بن أنس، ولا أُقدِّم عليه في صحة الحديث أحداً، وما رأيت أعقل منه، قال: وسفيان الثوري إمام في الحديث، وليس بإمام في السنة، والأوزاعي إمام في السنة وليس بإمام في الحديث، ومالك إمام فيهما جميعاً، وسئل ابن الصلاح عن معنى هذا الكلام فقال: "السنة ههنا ضد البدعة فقد يكون الإنسان عالما بالحديث ولا يكون عالما بالسنة"[1].

وإذا كان ابن الصلاح رحمه الله قد حدّد المراد بالسنة بالرجوع إلى الضد فإن المعنى الإيجابي للسنة في هذه الحالة هو "المنهج" أو "القانون"، وهنا تترادف كلمة السنة والمنهج والقانون الاجتماعي أو الكوني، وهذا الذي أراده المؤلف حفظه الله من

---

* الكتاب رسالة تقدم بها الأستاذ: الطيب برغوث، لنيل درجة الماجستير إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر. وهي من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦)، ٥٣٠ص.

** أمين تحرير مجلة **التجديد**، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

١ شرح الزرقاني على الموطأ (٣/١).

هذه الدراسة حيث يصرح بذلك قائلا: "غرضي ليس نسخ كتاب جديد في السيرة على طريقة التسجيل التاريخي لوقائع الحركة النبوية وأحداثها، بل هو محاولة البحث عما وراء هذه الحركة من قواعد منهجية متناسقة، أخرجتها ذلك الإخراج المحكم، الذي عمل على حماية المضمون الرسالي للدعوة والحفاظ على منجزاتها" (ص٥٤).

وبنظرة عامة إلى الدراسة يمكن إدراك مدى أهمّيتها وتميزها وندرتها. فأما كونها مهمة فبالنظر إلى طريقة الاستشكال عند الكاتب، حفظه الله، إذ تساءل: "ما سرُّ اتسام الجهد النهضوي للأمة عموماً بالاستئنافية* وعدم التواصل مما طبع مسيرتها باللافعالية واللاجدوى، كما أنّه تساءل لماذا لا نجد تناسباً معقولاً بين هذا الجهد ونتيجته على صعيد حماية الفكرة أو المشروع؟" (ص٤١).

وهذان الإشكالان هما أكبر ما يواجه الحركة الإسلامية المعاصرة. وأمّا تميز الدراسة وطرافتها فبالنظر إلى الدوافع التي كانت وراء اختيار الموضوع ومنها:

١ـ الطابع "النموذجي الفذ" الذي تكتسبه الحركة النبوية المعصومة بالنسبة لغيرها من التجارب البشرية غير المعصومة، فهو الجهد الحضاري "النموذجي" الذي تكاملت فيه قدرات البناء مع قدرات المحافظة على منجزات هذا البناء وحماية مرجعيته المذهبية بشكل لا نَظِير له (ص٤٣).

٢ـ محاولة تبديد الضباب الذي قد يغشى بعضاً من الناس بخصوص الكتاب والسنة من جراء ظاهرة العجز. ولفت الأنظار إلى الاتباع الأصوب للرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك ببيان كيفية بلوغ الجهد النبوي درجة الإعجاز في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها، وهو ما يلزم دعاة المشروع الإسلامي للعمل على الارتقاء بفهمهم وأدائهم الرسالي إلى مستوى التأسي الحقيقي الذي يرفع قدرهم وينصف نبيهم ويشرف رسالتهم. (ص٤٤ ـ ٤٥).

---

* يقصد المرواحة في المكان. (التحرير).

٣ـ إهمال الدراسات السابقة للسيرة النبوية "المنهج التحليلي" الذي يبحث عن سنن عالم الشهادة التي كان عليه الصلاة والسلام يتحرك في إطارها، ويصنع الأحداث ويحقق النتائج (ص٤٥)، وهذا الذي اعتمده الكاتب متجاوزاً بذلك المنهج السردي ذا الطابع التسجيلي الذي يحلل الأحداث دون النظر إلى مقدماتها ومحاولة اكتشاف ما وراءها من منهج محكم في الدعوة والبناء والمواجهة (ص٤٥). فضلا عن الأهداف الموضوعية للدراسة التي أجملها الكاتب في محاولة بيان أهمية المنهج في نجاح العمل والتنبيه إلى ما يستلزمه ذلك من ضرورة:

أ ـ الاستيعاب الواعي العميق والشامل للمضمون المرجعي للمشروع الباعث للعمل والموجه له من جهة.

ب ـ الإحاطة التامة بالواقع الذي يراد تغييره لينسجم مع تطلعات هذا المشروع، وينضبط بأهدافه وموازينه من جهة ثانية.

جـ ـ امتلاك خطة الإنجاز المنهجية التي تتم بواسطتها عملية تحريك الواقع القائم، والدفع به تدريجيا نحو الاقتراب من الأهداف المرسومة من جهة ثالثة.

أمّا ندرتها فتتمثل في "الاكتشاف المنهجي الجديد"، فكثيراً ما يغفل الناس عن مآلات أفعالهم وعن الصور المستقبلية لمشاريعهم لا سيما الإسلاميين منهم، إذ يتسم خطابهم بمثاليات وطوباويات ضبابية الصورة، وهذه الدراسة أتت بمثابة بُعْدٍ غائب في فكر الحركات النهضوية المعاصرة. ومن طرافة هذه الدراسة: تناسق خطتها، ووضوح عبارتها، وتكامل منهجيتها وموضوعاتها، وكثرة مصادرها ومراجعها، فضلا عن تنوعها، إذ نجد فيها المراجع الشرعية والعقلية، القديمة والجديدة، الإسلامية وغيرها، ومما زادها أهمية تذييلها بفهارس للآيات والأحاديث والأعلام والبلدان والشعوب، وبهذا استكملت الدراسة عناصرها العلمية الأكاديمية التي تجعل صاحبها يستحق الثناء.

لقد قسم الباحث دراسته ثلاثة أبواب: الباب الأول منها يتكون من فصلين، وأما البابان الثاني والثالث فيتكون كل واحد منهما من ثلاثة فصول، هذا عدا التمهيد في

إشكالية البحث ومفاهيم الدراسة، والخاتمة التي ضمنها نتائج الدراسة وآفاق الإفادة منها اليوم.

المفاهيم المؤسسة للدراسة

لقد بدا للكاتب أنه من غير المستساغ منهجياً الدخول مباشرة في الحديث عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة، والمحافظة على منجزاتها دون توضيح لمفاهيم الدراسة الأساسية حتى يمكن للقارئ فهم مراده بدقة، وهذه المفاهيم هي: الدعوة، المنهج، الحماية، المنجزات، المحافظة.

أما الدعوة: فقد أمكنه أن يستخلص لها تعريفاً خاصاً وجديداً من خلال التحليل اللغوي ونقده لتعاريف مِنْ كتب الدعوة وهو: "ذلك الجهد المنهجي المنظم، الهادف إلى تعريف الناس بحقيقة الإسلام، وإحداث تغيير جذري متوازن في حياتهم، على طريق الوفاء بواجبات الاستخلاف، ابتغاء مرضاة الله تعالى والفوز بالجنة" (ص ٦٧)، وقد أوضح أمرين أساسيين وهما:

١ـ الدعوة بوصفها مضموناً رساليا، أي ديناً يبلغ ويلتزم.

٢ـ الدعوة بوصفها عملية تبليغ لهذا المضمون، ومحاولة لتعريف الناس به، وحركة جهاد من أجل البناء ومواجهة الهدم. (ص٦٨).

وتأسيساً على هذا التعريف للدعوة يطرح الكاتب مفهوم المنهج النبوي الذي هو "الكيفيات العملية المنظمة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض بها الإسلام على الناس، ويواجه بها مشكلات الواقع والدعوة، ويحرك بواسطتها الأحداث من حوله بما يضمن حماية المحتوى الرِّسالي لدعوته، ويحافظ على منجزاتها ويحقق أهدافها (ص٦٩).

ونلاحظ أن تعريف المنهج يتضمن "الحماية"، وهي المفهوم الأساسي الثالث من بين مفاهيم الدراسة، وهو: التدابير اللازمة لوقاية المضمون الرسالي للدعوة من أي تشويه أو تحريف أو اختزال، وتجنيب عملية التبليغ وحركة التغيير والبناء كل ما من شأنه أن يحول دون استمراريتها ومصداقيتها" (ص٧٠).

وأما المنجزات فبعد التعريف اللغوي للكلمة خلص الكاتب إلى هذا التعريف الإجرائي: "حصيلة المكتسبات البشرية والمادية والمعنوية التي حققتها الدعوة من جراء حركة التبليغ والبناء والمواجهة". (ص٧١)

والمحافظة هي: "رعاية مكتسبات الدعوة البشرية والمادية والمعنوية وصيانتها من كل ما يعرضها لتضاؤل فعاليتها وحرمان مسيرة العمل الإسلامي من خدماتها" (ص٧٣).

هذه هي "المفاهيم المفتاحية" للدراسة كما سماها الكاتب، ثم بعدها دخل في الفصل الأول من الباب الأول المخصص لغاية الدعوة الإسلامية وخصائصها المبدئية الكبرى، وخصص الفصل الأول للكلام عن غاية الدعوة الإسلامية وآفاقها الرسالية الكبرى، وذلك من خلال تمكين الإنسان من تحقيق مستوى استخلافي راق وفق ما تتيحه له ظروفه وإمكاناته في عصره (ص٨٠). وبهذا يحرر مفهوم الاستخلاف من المعنى السياسي الاختزالي فيرد إليه معناه الشمولي الحضاري، وعلى هذا الأساس تتضمن الابتلاء الشامل المتنوع لإرادة الإنسان وحريته واختياره على مستوى الوظيفة. أما على مستوى المصير النهائي للوجود الإنساني فإن نصوص الوحي كتابا وسنة تتمحور في معظمها لتوضيح مآل الإنسان الأخروي والاضطلاع بمهمة ضمان مصير الإنسان في عالم الخلود. وقد فصَّل المؤلف القول في وظيفة الإنسان الوجودية، أي الاستخلاف بوصفه هدفا استراتيجيا للدعوة الإسلامية في عالم الشهادة، وأشار إلى أن قوامة العبادة التي تقوم كذلك على الإيمان الصحيح القوي والعلم السليم الفعال، معرّجاً بعدها على أبعاد مشروع الاستخلاف الكبرى وهي: الترقي المعرفي، والترقي الروحي، والترقي الأخلاقي، والترقي العمراني، وبيان أن الإسلام هو منهج تحقيق الاستخلاف. وفي الفصل الثاني ألقى نظرة عامة على الخطوط العريضة لهذا المنهج، حيث حدّد الملامح الكبرى لخصائص الدعوة الإسلامية وهي:

١ـ النزعة العلمية، وهذه الخاصية تتفرع إلى محددين: أحدهما تحليلي، والآخر وصفي، وهما:

أ ـ العلم بالسنن بوصفه مفتاحا لتسخير الكون ومكوناته بما يخدم الإنسان في حاله ومآله.

ب ـ مظاهر اهتمام الإسلام بالمسألة العلمية من خلال نصوص الوحي.

٢ـ "الصبغة التوحيدية" وهذه الخاصية هي جوهر الدعوة الإسلامية وصبغتها الخاصة التي تمنحها طابعها المتميز وتعطيها هويتها المستقلة، ومن غير إطالة أشار الأستاذ إلى أن مضمون الصبغة التوحيدية بوصفها خاصية قاعدية للدعوة ملخص بكثافة معجزة في شعار الإسلام الخالد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" الذي يختزن في داخله مشروع الاستخلاف، وضمانات إنجازه بكفاءة وفعالية. (ص ١٣١)

ثم تطرق المؤلف إلى بيان هذه الصبغة من خلال استقراء التاريخ الرسالي كما تعرضه النصوص، ولاحظ أن التوحيد هو الخط العمودي الذي تمركزت حوله جهود النبوة من لدن نوح عليه السلام إلى تمام نموها وكمال ذروتها على يد محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه الصبغة تقوم على دعامتين هما: الإخلاص والصواب.

٣ـ "الطبيعة الشمولية"، وهي من مقتضيات الخاصية السابقة، بحيث يستوعب الإسلام النشاط العبادي للإنسان في أبعاده المعرفية والروحية والأخلاقية والعمرانية، وبهذا فإن الدعوة الإسلامية شمولية في أهدافها ومجالاتها ومناهج عملها (ص ١٤٢). كيف لا؟ والإسلام هو الدين المهيمن على كل الرسالات والديانات وخاتمها وأكملها، ودون هذه الخاصية تفقد الدعوة الإسلامية معناها وقيمتها.

٤ـ "النزعة الواقعية" وهي مراعاة الأعراف وسنن الله في الطبائع والوقائع، واعتماد سنة التدرج والمرونة والتنوع والتغيير، وقد فصل الأستاذ في ذلك، لأنه صاحب كتاب في هذا الشأن "الواقعية في الدعوة الإسلامية"، ضمن سلسلة "مفاتيح الدعوة"، فمن أراد التفصيل فعليه بهذا الكتاب.

٥ـ وأمّا خاصية العالمية فقد حدد فيها المؤلف بوضوح نطاق الدعوة الإسلامية الزماني والمكاني: فمن ناحية بيَّن أن زمن الدعوات المحدودة بمكان معين وبزمان معين

وشعب معين قد انتهى، ومن جهة أخرى جاء الإسلام ليتجاوز المصالح القبلية والطبقية والعنصرية والجهوية والإقليمية.

وبهذا انتهى المؤلف من خلال فصلين إلى تطوير ما يمكن تسميته بالإطار العام للدراسة، وبدأ في الباب الثاني تطبيق النموذج على المجال الذي عينه للدراسة، وهو حماية الدعوة في المرحلة المكية. وقام بدراسة دقيقة لبيئة الدعوة في المرحلة المكية، وقد استفاد الكاتب من تكوينه العلمي الأساسي (علم الاجتماع)، فنجح في رسم صورة لبيئة الدعوة الأولى، وذلك من خلال دراسة وضعية المرحلة لما قبل الإسلام في ضوء تقسيم القرآن لعالم ما قبل الإسلام ومشاهد الانحطاط الحضاري.

فقد انطمست بقايا الحنيفية الإبراهيمية، كما حرفت اليهودية والنصرانية، فضلا عن الصراع الذي لا يكاد يخبو بين الروم والفرس، كل هذه المظاهر تشير إلى معاناة الإنسانية، وقد فصل الكاتب في عنصر مستقل مظاهر الانحطاط، ومنها على سبيل المثال لا التفصيل إذ لا يتسع المقام لذلك، أنه على المستوى العقدي فإن أخطر انحراف هو الشرك بالله. والتكذيب بالبعث في اليوم الآخر. أما انعكاسات ذلك على المستوى الاجتماعي فطغيان العصبية القبلية، والمظالم الكثيرة للمرأة، كظاهرة وأد البنات أو الإدمان على الخمر والقمار وشيوع المعاملات الربوية واستحكام عادة التقاتل، وهي مفصلة تفصيلا في خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي بوضوح وبيان، وأمّا على المستوى السياسي فكانت القبيلة هي وحدة التحليل السياسي وأما أرقى بنية سياسية وصل إليها العرب فهي نظام الأحلاف التي كان آخرها حلف الفضول بحيث أكسبها تجربة خطيرة، وبدا ذلك واضحاً في غزوة الأحزاب.

ولم ينه الكاتب هذا الفصل قبل أن يبسط القول في جوانب القوة والإيجابية في الحياة العربية قبل الإسلام، وهذه أول مرة في الكتابات الإسلامية تُنصف فيها الفترة الجاهلية باعتبار أن فيها كثيراً من الجوانب الإيجابية أظهرت مناط تشريف العرب بالرسالة، وهي مسوغات موضوعية، وتمثّل الكاتب قول ابن باديس رحمه الله في ذلك

حيث قال: "إذ لا ينهض بالجليل من الأعمال إلا الجليل من الأمم والرجال، ولا يقوم بالعظائم إلا العِظَام من الناس.... والأنبياء لم يبعثوا إلا في مناسب الشرف، ومنابع القوة، ومنابت العزة، ليُبْنَى المجد الطريف من الدين على المجد التليد من أحساب الأمة وأنسابها وشرفها وعزتها، وما كان لها من مناقب تلتئم مع أصول الدين" (ص ١٨٦).

فقد كانت هناك استعدادات خاصة للعرب بوصفهم أمة سابقة على الحضارة ما زالت تحافظ على كامل قواها المذخورة القابلة للتفجير والتسخير في عمل حضاري جديد ذي نفس طويل وآفاق إنسانية وامتدادات عالمية شاملة، تخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام. (ص١٨٨).

فضلا عن خصائص الموقع الاستراتيجي الخاص لمكة والمتمثلة في الآتي:

١ـ وجود بيت الله الحرام بمكة.

٢ـ اعتبارها ملتقى الطرق للتجارة العالمية.

٣ـ مكانة قريش بين العرب.

٤ـ بعدها عن الأطراف المجاورة للكيانات الحضارية والسياسية المتطاحنة حيث انطمس الطبع العربي الصميم.

٥ـ حاجة العرب أنفسهم إلى رسالة بعد أن شوهت الحقيقة الرسالية.

٦ـ عدم وجود حكومة راسخة ذات سلطان وتشريعات يمكن أن تواجه الدعوة بخطة مدروسة.

٧ـ الوضع العقدي المشتت، ممّا يجعل القوى المعارضة عاجزة عن جمع كلمتها ضد الدعوة الإسلامية.

٨ـ الإفادة من النظام القبلي في حماية الدعوة حيث كانت المعارضة الجاهلية تدع أمر معاقبة المسلمين إلى القبيلة ذاتها التي ينتمي إليها المسلم.

٩ـ ملاءمة الأوضاع الفكرية، حيث كان العرب يتسمون بالأمية، فكانوا أسلم فطرة وأحد أذهانا وأقوى جناناً وأفصح بياناً، لم تشبهم لوثات الفلسفة كما في الحضارات الأخرى. (ص ١٧٣ ـ ١٩١).

وفي الفصل الثاني من هذا الباب تعرض الأستاذ لما أسماه بـ "التكليف الرسالي" وبداية الدعوة، حيث تناول بالتفصيل كيف أهّل عليه الصلاة والسلام تأهيلا رسالياً متكاملا، مكنه بفضل الله من الاضطلاع بأعباء الدعوة وذلك من خلال:

١ـ التأهيل الفطري أو الوهبي، والمقصود به هو جبل الرسول صلى الله عليه وسلم على استعدادات عظيمة، وعلى صفات الكمال المطبوع والجمال الموهوب، بما يجعل من شخصيته قدوة نموذجية فذة منفردة في الكمال البشري.. من كمال في الخلقة، وكمال في العقل، وكمال في الفهم، وكمال في اللسان، وكمال في الحواس بما يجعله نموذجاً فذّاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. (ص١٩٩).

٢ـ التأهيل الاكتسابي، والمقصود به توفيق الله للرسول صلى الله عليه وسلم إلى اكتساب صفات وخبرات وخصال إنسانية كثيرة، عملت على صقل مواهبه الفكرية، والسمو باستعداداته الجبلية، نحو آفاق بعيدة في الكمال الإنساني، وقد كان وراء هذا الصقل عوامل منها:

أ ـ النشأة البدوية، حيث صفاء الجو ونقاوة الطبيعة، وبساطة الحياة، وفصاحة اللغة، وشجاعة الفؤاد: "لو تكون الطبيعة هي المصدر الأوّل للطفل حتى تتسق مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه" (ص٢٠٤)، كما يتمنى علماء التربية.

ب ـ مؤثرات القيم، فقد أمه مبكّراً، و لم ير أباه، وفقد جده قبل الثامنة، وانتقلت كفالته إلى عمه أبي طالب. وهكذا يمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتحولات نفسية واجتماعية في صغره ربما جعلته في وضع ملائم للنشأة المتميّزة التي تكسبه الصلاحية والاستقلالية والقدرة على التحمل والإرادة النافذة والتحدي الذي لا تنكسر له قناة. (ص ٢٠٥).

وغيرها من العوامل مثل الرعي، والخروج في التجارة، ومشاركته في حلف الفضول، وحسمه في الخصام الذي وقع بين القبائل فيما يخص وضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة، وغيرها من الوقائع التي تدل دلالة واضحة على انفتاحه صلى الله عليه وسلم على الواقع وعلى المجتمع ومشكلاته، وبهذا أخذت شخصيته تتكامل وتنضج لتتأهل للمهمة الرِّسالية العظيمة التي تنتظره ليغير بها مسار الإنسانية التائهة منذ آماد بعيدة (ص ٢١٢).

٣ـ التأهيل التأييدي، والمقصود به تلك الرعاية الكاملة التي شمل الله بها رسوله قبل بعثته، وأثناء قيامه بعمله الرسالي في الدعوة والإصلاح الشامل العميق لأوضاع الحياة الإنسانية (ص٢١٢).

وتتجلى مظاهر هذا التأهيل في:

١ـ طهارة الأعراض، وشرف النسب تمنح الإنسان أصالة ومصداقية، وتقطع الطريق أمام من يريد ثلبه والقدح فيه، والرسول صلى الله عليه وسلم من سلالة آباء كرام، سادوا ورأسوا.. ليس في آبائه خامل مسترذل،ولا مغمور مستذل، كلهم سادة وقادة (ص٢١٥).

٢ـ طهارة النفس فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال "نظر الله في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته". وطهارة النفس سمة النفوس الكبيرة التي خلصها الله من جاذبية الهوى، وحب العلو في الأرض، وعبادة الذات، وتأليه الغرائز، ومحضها له ليجري الخير للناس على أيديها. (ص ٢١٧).

٣ـ البراءة من انحرافات المحيط الاجتماعي، ومن ذلك أن من عادة غلمان قريش أن يتعروا أثناء حملهم الحجارة، أما هو فلم يفعل، وما استلم صنما قط، فقد كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا، وأكرمهم حسبا، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة.

تلك هي أهم صفات التأهيل وأبعاده، ليدخل بعد هذا في مرحلة جديدة سماها المؤلف بمرحلة "التحول من البشر السوي إلى البشر النبي" وقد تميزت هذه المرحلة بإرهاصات النبوة ومنها:

١ـ الرؤيا الصادقة. ٢ـ الخلوة والعزلة والانقطاع للعبادة.

وبينما هو في عبادته وعزلته فاجأه جبريل عليه السلام بقول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ ليبدأ التكليف الرسالي، وتبدأ الدعوة بمجرد أن التقط رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفاسه من جراء الإجهاد الذي لحقه من ثقل الحمل الذي ألقي عليه وانطلق في عملية التبليغ دون توان استجابة للأمر الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ﴾. وقد قسم المؤلف الدعوة المكية إلى ثلاثة مراحل.

المرحلة الأولى: استغرقت ثلاث سنوات، تميزت بالهدوء والعمل الفردي للطليعة الأولى للدعوة.

المرحلة الثانية: وامتدت سبع سنوات، بدأت بالإعلان عن الدعوة والانفتاح التام على المجتمع المكي، والدخول معه في حوار شامل منضبط تصاعدت معه وتائر التحدي للدعوة وقيادتها وأتباعها تصاعداً حادًّا وعنيفاً.

وأما المرحلة الثالثة فاستغرقت ثلاث سنوات، بدأت بتوسيع دائرة الانفتاح لتشمل مناطق أخرى خارج بيئة مكة، وقد جاءت عقب وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، واتخذت المجابهة أبعاداً خطيرة في الأذى ومحاولة كسر شوكة المسلمين، وقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقود الدعوة بكفاءة، ويجنبها المهالك والمتالف، و يخرج بها قوية، ليؤسس بها قاعدة الدولة التي أنشأها في المدينة قوية شامخة، سرعان ما تهاوت أمامها أمم عريقة في المدنية والملك. (ص ١٣٥).

وفي الفصل الثالث بسط المؤلف الكلام في الدعوة في المرحلة المكية بسطاً مرتباً ومنسقاً، يمكن أن تستفيد منه الحركات الإسلامية المعاصرة حتى تخرج من نظراتها الحدية، ومن ازدراء بعضها البعض الآخر، وخاصة أن الجدال قائم اليوم بين بعض

الاتجاهات الإسلامية في شكل سؤال هو: بماذا نبدأ؟ بالعقيدة أولا أم الفكر، أم بالعمل السياسي والاجتماعي؟

والمُراجع لهذا الفصل من الكتاب يجد المواءمة بين هذه الأطراف بطريقة متجاوزة لها بما لا يهمل قيمة كل منها وأهميته، ويضعه في موقعه الذي يستحق، وأول هذه الأهداف هي:

١ـ بناء المنظومة العقدية: وتأتي أولويتها بحكم التوجه العالمي الشامل للدعوة الإسلامية التي تستهدف إحداث تحولات جذرية عميقة لا رجعة فيها في الوضع الإنساني عموماً (ص ٢٤١). ويمضي قائلاً: "فالإصلاح العقدي هو الأرضية الصلبة التي تشاد عليها صروح الرقي الفكري والروحي والأخلاقي والعمراني.... وكل نقص في هذه الأرضية يصيب المجتمع بالاضطراب في كل مستوياته" (ص ٢٤٢).

وهذا هو منطلق كل الرسالات السابقة في التغيير وحتى الدعوات الإنسانية، ولذلك نجد القرآن الكريم يتوزع خطابه في هذه المرحلة على محاور ثلاثة، كما هو في كثير من كتب العقيدة: محور الإلهيات، ومحور النبوّات، ومحور السمعيات (الغيبيات).

وتتناول المفردات الآتية: الإيمان بالله واليوم الآخر، وبالرسل والرسالات، وبالملائكة، والجنة والنار، والقضاء والقدر.

٢ـ بناء المنظومة الفكرية: والمنظومة الفكرية هي منظومة متفرعة عن سابقتها، وتعني التفاعل مع الواقع في ضوء المنطلقات العقدية، إذ إن سلامة هذه المنظومة دليل على سلامة الفهم، ويترتب عليها سلامة المنظومة الاجتماعية والحياة كلها، ومن أجل هذا اهتم الإسلام بالعقل، وأحلّه مكانته اللائقة به، حتى يقوم بمهمة الاستخلاف، لهذا جاءت الدعوة صريحة ومؤكدة أهمية السير في الأرض، والنظر في الآفاق والأنفس، واكتشاف السنن وتسخيرها. وحثّ على العلم، واعتبر التفكير فريضة شرعية، سواء تعلق الأمر بالإنسان نفسه، أو بالكون، أو بالتجربة التاريخية للإنسان، أو بالمصير الإنساني عموماً. وقد عزز الأستاذ الكريم هذا بعدد كبير من الآيات والنصوص لتثبيت هذه الحقيقة.

٣ـ إرساء أسس بناء المنظومة الاجتماعية: والمنظومة الاجتماعية هي المحك الحقيقي لأي تشريع وأي قانون، ولذلك أولاها الإسلام أهمية كبرى، والأهم فيها هو تكوين الإنسان نفسه، ولذلك أولت الدعوة الإسلامية المنظومة الاجتماعية أهمية كبرى، لأن فيها يتجسد البديل والقيم التي يبشر بها الإسلام، وفيها تأخذ المبادئ شكل البرامج والإجراءات، فكيف نعرف ونتحقق من أن الإسلام جاء بالعدل إذا لم يُعش في المجتمع؟ وكيف نَعرف أنه دين الحرية إذا لم نجربه على مستوى اجتماعي؟

وهذه التساؤلات وغيرها شكلت مبادئ الإعداد لبناء الدولة التي ستحمي هذا الدين وتسوس الناس به، وبدونها يصبح كل إنجاز للدعوة خاصة في مستوى الإعداد البشري مُعرّضاً للخطر، كما تضطلع بمهمة نشر الدعوة الإسلامية وضمان وصولها إلى الناس.

وفي الباب الثالث تناول المؤلف التحديات التي واجهتها الدعوة في المرحلة المكية ومنهج مواجهتها، وذلك من خلال ثلاثة فصول، كل فصل خُصِّص لتحديات مرحلة من المراحل الثلاث السابق ذكرها في الفصل الثاني من الباب الثاني:

١ـ مشكلات الدعوة في المرحلة التأسيسية الأولى

وقد حددها الكاتب بثلاث سنوات، وأهم ما تميزت به هذه المرحلة هو ظهور آثارها دون أن تستفز نفوس المشركين، كما أن أهم أهدافها هو تأسيس قاعدة جهادية صلبة طليعية بإمكانها تحمل تبعات الدعوة والصمود في وجه التحديات بصورة جدية فعالة مؤثرة مع مرور الزمن، وكل ذلك في غفلة من قريش، إلا أنها واجهت مشكلات منها:

مشكلة البداية: وبخاصة أن المجتمع لا يمكن أن يقبل بالأسلوب القسري ويركب كل صعب للمحافظة على حرية معتقده ومصالحه وموروثاته (ص ٢٨٣)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى من الأشخاص المؤهلون الذين ينبغي التركيز عليهم في بداية الأمر؟ وكيف تتم مواجهتهم، وكذلك أمر متابعتهم وتكوينهم، وكيف كان لهؤلاء أن ينخرطوا في الدعوة دون الإضرار بأنفسهم بوصفه أحد ثمرات الدعوة نفسها.

وبهذا طرحت مشكلة أخرى، وهي كيفية حماية هذه النواة الجهادية أو الطليعية؟ وقد كانت معالم خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك مضبوطة ومدروسة (ص٢٨٥) لا مجال فيها للعفوية والارتجال وسوء التقدير، فقد واجه مشكلة البداية بمراعاة الاعتبارات الآتية:

١ـ طبيعة البيئة القبلية المؤسسة على المنظور الجاهلي المتناقض نوعيا مع طبيعة الدعوة، وتم تجاوز هذا باستيعاب نماذج نوعية كانت أكثر انضباطاً وأكثر استعداداً للعطاء وأكثر حرصاً على سلامة التقدير وحسن الاختيار، لأن "كل أمر تغلب عليه الصبغة التي بدأ بها" كما أن "من صحت بدايته صحت نهايته".

٢ـ وراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسألة تمثيل قاعدة الدعوة الطليعية للمجتمع كله، سواء من ناحية التمثيل الجغرافي أو التمثيل الاجتماعي هذا فضلا عن الحركية الهائلة والفاعلية الكبيرة للرسول صلى الله عليه وسلم في تربية المنضمين إلى الدعوة، حيث استطاع تكييف تفكيرهم ومواقفهم وسلوكهم وفق ما يقتضيه الدين الجديد.

٣ـ وأما الاعتبار الآخر فهو منحه الأولوية لبناء القدرات الذاتية للدعوة، بحيث انتهج سياسة تفادي المواجهة المبكّرة مع المجتمع، وذلك من خلال الانضباط الأمني الكامل والانضباط الاجتماعي، بحيث لم يخرجوا جملة واحدة على المعهودات الاجتماعية، حتى إنهم لم يتميزوا في مظاهرهم، و لم يعيبوا آلهة قومهم، إلى غيرها من القضايا.

وخلص الكاتب إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم استوفى تحقيق الأهداف المرسومة كلها في هذه المرحلة لينتقل بعدها إلى المرحلة التأسيسية الثانية في الفصل الثاني. وهذه المرحلة تمتد عبر سبع سنوات، أي من نهاية السنة الثالثة إلى نهاية السنة العاشرة، وقد تميزت هذه المرحلة عن سابقتها ولاحقتها بما يأتي:

١ـ كثافة الأحداث التي شهدتها.

٢ـ اتساع نطاق التحرك الدعوي النبوي.

٣ـ توسع أهداف الدعوة.

٤ـ تصاعد حجم التحديات التي شهدتها الدعوة.

فلقد شكل انفتاح الدعوة على المجتمع أكبر هدف لها في هذه المرحلة، وذلك استكمالا لبناء الطليعة الجهادية، حيث استدعى ذلك الدخول في حوار شامل مع المجتمع يمس كل قيمه ونظمه وأوضاعه، من أجل إعادة تقويمه وصياغته ووضع معايير جديدة للصلاح والفساد، وللحق والباطل، وللصواب والخطأ. وهنا اشتدت معارضته سواء على مستوى قيادة الدعوة أو قاعدتها أو المجتمع نفسه، فقد حاولت قريش النيل من مصداقية الدعوة والداعية والتهوين من شأنها وتشكيك الناس في صحتها، وقالوا: شاعر، وقالوا: ساحر، وقالوا: مجنون، وغير ذلك، كما حاولوا إسقاط الحماية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتجريده من منعته بالتهديد تارة وبالإغراء أخرى، ومحاولة احتوائه واحتواء دعوته عليه السلام، حتى وصل الحد بهم إلى مطالبته بعبادة ما يعبدون وعبادتهم ما يعبد على سبيل التبادل، وغيرها من الأساليب كالحصار الشامل في شعاب مكة. إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استطاع أمام هذه التحديات التي تحرق أعصاب الأتباع أن يجنبهم المواجهة، وعمل بكل قواه على تفاديها، وذلك من خلال احتواء كل مواقف الخصم وتوجيهها لخدمة الأهداف العليا للدعوة، وذلك بما يلي:

١ـ الانضباط بثوابت الدعوة وأهدافها، والوقوف دون انحرافها أو احتوائها أو تبديد منجزاتها وهدر إمكاناتها.

٢ـ المرونة في التعامل مع معطيات الواقع بعيداً عن السياسات الساذجة المحلقة في المثالية والأحلام والحسابات الوهمية.

٣ـ الاستفادة من تناقضات القوى المضادة. وهو شرط الذكاء السياسي لقيادة الدعوة من أجل توفير فرص الثبات والاستمرارية، وذلك باستقطابه فعاليات المجتمع

مثل حمزة وعمر بن الخطاب، وبصبره حتى تفككت الجبهة التي فرضت عليهم الحصار.

٤ـ ثبات المسيرة وانسجامها مع أطروحات الدعوة، بحيث لم يحدث انفصام بين ما يدعو إليه المسلمون حينها وبين سلوكهم وواقعهم، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقب بالأمين وبالصادق، وبعد لم يستطيعوا إثبات العكس. وكل ما ألصق به من تهم ذهبت هباء، فكان حاله صلى الله عليه وسلم كافياً لتكذيب كل الإشاعات والمكائد التي تكاد له.

٥ـ الحرص على ضمان استمرارية الدعوة، فقد كان حريصا على إرجاع من أسلم من القبائل من خارج مكة إلى قومه ليقوم بالتبليغ، وكذلك هجرة كثير من الصحابة إلى الحبشة، ودعوته لكل قادم إلى مكة، كل هذه جعلت الدعوة تنفتح على المنطقة كلها. وليس مكة فقط.

أما التحديات الخاصة بقاعدة الدعوة فقد واجهها بالتحرك على المحورين الآتيين:

١ـ محور إبعاد أتباعه عن جو الصراع.

٢ـ محور توطين الحركة على الانضباط النفسي.

وأما طول المواجهة وعنفها الذي أثر في الأتباع فقد عالجها بالطريقة الآتية:

١ـ العمل على بقاء الجبهة الداخلية متماسكة، وذلك بتذويب الفوارق الطبقية والمادية، وكسر الحواجز النفسية والاجتماعية الموروثة عن الحياة الجاهلية.

٢ـ إعطاء الأمل لحاملي الدعوة، ومن ذلك مثلا مواساته لآل ياسر، ووعدهم بالجنة وكذلك إجابته لخباب بن الأرت وإخوانه الذين شكوا إليه أذى قريش (ص٣٧٤).

٣ـ المرونة في مواجهة متاعب الصحابة، وإقرارهم على ما فعلوا، مثل توجيهه لعمار بن ياسر: "فإن عادوا فعد" لما نطق بكلمة الكفر لاشتداد الأذى عليه، وغيرها من المواقف، وبهذا استطاعت الدعوة أن تحقق أهدافاً عليا (استراتيجية) منها:

ـ خلخلة النظام الاجتماعي الجاهلي.

ـ تقويض مرتكزاته العقدية والفكرية.

ـ تفريغه المستمر من الطاقة البشرية.

ـ وفضلا عن الأهداف المنصوص عليها سابقاً مده شبكات عديدة من العلاقات مع الدول والقبائل المجاورة والبعيدة عن مكة.

وبهذا الملخص المقتضب ندخل في الفصل الأخير، وهو تحديات المرحلة التأسيسية الثالثة ومنهج مواجهتها. وتستغرق هذه المرحلة ثلاث سنوات تقريبا، تبتدئ من سنة وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها وخروج الرسول صلى الله عليه وسلم إثر ذلك إلى الطائف في "شوال" لدعوة ثقيف إلى الإسلام حتى بدء هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة في ليلة السابع والعشرين من صفر في العام الثالث عشر بعد البعثة، أما من حيث الإطار المكاني فقد امتد خارج الدائرة القرشية، فبدأ بالطائف وما بينها وبين مكة، وبالاتصال المكثف بالقبائل العربية المختلفة في مواسم الحج. أما بالنسبة لأهداف هذه المرحلة فقد حدده الكاتب بما يأتي:

١ـ مواصلة بناء القاعدة الجهادية للدعوة، لأن بناء الإنسان هو هم الدعوة الأول ومحورها الرئيس، وقد اتفق العرب والعجم أن الملك بناء والجند أساسه، فإذا قوي الأساس تم البناء وإذا ضعف الأساس انهار البناء. (ص٣٨٩).

٢ـ إنجاز المرحلة الثانية من الانفتاح على المجتمع من خلال مواصلة التبليغ، ومن خلال البحث في خامات المجتمع البشرية على المعادن الإنسانية النفيسة التي من شأنها أن تعزز الدعوة وترفد مسيرتها بأسباب القوة والمنعة والاستعصاء على التحديات التي تحيط بها. (ص ٣٩٠).

٣ـ البحث عن موقع جديد للانطلاق في بناء الدولة بحكم أنها تجسد أهداف الرسالة في واقع الحياة، وتحمي الدعوة وتمكنها من أداء مهمتها في التبليغ والبيان، وإقامة الحجة على الناس... وهذا الهدف المهم (الاستراتيجي) للدعوة في المرحلة المكية، وذلك لأن الله "يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، وليس هناك وازع أقدر

على حمل الناس على مفارقة عوائدهم وتقاليدهم الفاسدة والانصياع للحق والثبات عليه غير وازع سلطان الدولة. (ص ٣٩١).

وعلى هذا فقد أخطأ من اعتبر أن الدعوة لم تحمل ـ ولأسباب متعددة ـ مشروعاً سياسياً منذ البداية، وإنّما أصحاب هذا الادعاء هم الذيين يستبطنون الفكر العلماني الغربي الذي يرى أنّه لا علاقة للدين بالحياة وإنما هو علاقة بين العبد وربه فقط، وهو موقف غير علمي يدُلُّ على لا موضوعية النظرة إلى الإسلام. (٣٩٢)

وأما التحديات التي واجهتها الدعوة في هذه المرحلة فهي:

١ـ فقدان الحماية، وتصاعد وتائر المواجهة، وقد شهد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حيث قال: "ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ثم شرعوا". واهتزاز موقف بني هاشم واستسلامهم لرغبة قريش في عزل الدعوة ومواجهتها، وقد جاءت الآيات القرآنية تحذر من مخاطر استدراج الدعوة للتنازل تحت الضغط، وهو ما لم تدركه كثير من الحركات الإسلامية التغييرية ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ (الإسراء:٧٤). ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: ٩). ولما اتضح أنه لا مساومة تجدي مع هذه الدعوة وقيادتها فكروا في التصفية الجسدية للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الرأي الذي تقدم به أبو جهل، بل وازداد بلورة بالنقاش، بحيث يفرقون دمه في القبائل حتى تعجز عشيرته عن المطالبة بدمه، هذا على مستوى قيادة الدعوة، أما قاعدتها فقد اشتدت المواجهة لها حتى إن أبا بكر رضي الله عنه على الرغم من مكانته في قومه اضطر إلى الهجرة حتى أرجعه ابن الدّغُنّة من الطريق وقال: "إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج" (ص٤٠٢) والاضطهاد للصحابة خاصة بعدما قبل أهل المدينة استقبال المهاجرين من المسلمين إليها، ومن أمثلة ذلك ما فُعل بعياش بن أبي ربيعة حيث أعيد من يثرب، وقريش تريد من ذلك أنها بمقدورها أن تلحق الأذى بهم حيث كانوا. وهذا مع التفريق بين كثير من الصحابة المهاجرين وأهليهم، وعجز الكثير عن الهجرة خوفاً من الاضطهاد، وأمّا المشكلة الأخرى فهي

تفريق قاعدة الدعوة وضعف الصلة فيما بينهما وبين أفرادهما، وذلك لتوسع رقعة انتشارهم، فمنهم من كان بالحبشة ونجران واليمن، وكذا في غفار ودوس، مما صعب مهمة الاتصال والتواصل بينهم. (ص٤٠٥).

وأما على مستوى المجتمع فقد ظهرت العقبات الآتية:

ـ تسميم المجتمع وتعبئته ضد الدعوة، خاصة بعد رفض النجاشي تسليم المهاجرين إليه لعمرو بن العاص، وإسلام عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وجماعة من نصارى نجران، كل هذه جعلت قريش في ردة فعل قوية، وكذا والزعامة الجاهلية عموماً، ويتجلى ذلك مثلا في موقف ثقيف منه صلى الله عليه وسلم ورده من طرف بني عامر. (ص٤٠٦)

ولكن ما منهج النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة العقبات السابقة في كل المستويات.

ـ فعلى مستوى القيادة وبعد وفاة أبي طالب ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم يبحث عن سند اجتماعي آخر، لأن السنة الالاهية قضت أنه ما بعث الله من نبي إلاّ بلسان قومه (ص ٤٠٨) وقد كثف رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصالاته بالقبائل قائلا: "من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة"

إلى أن جاءت السنة الثالثة عشرة فجاءه عدد من أهل المدينة ممن أسلموا على يد مصعب، فبايعوه على السمع والطاعة في المكره والمنشط، وعلى النفقة في العسر واليسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى القيام لله لا تأخذهم لومة لائم، وعلى أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، ولهم الجنة.

ويلاحظ مدى استيعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيئة النفسية والاجتماعية للمجتمع العربي حينها، ومدى تسخيره للقوانين والأعراف الاجتماعية لخدمة الدعوة كانضوائه تحت حماية عمه أبي طالب، وطلب إجارة المطعم بن عدي، واستعمال عبد الله بن أريقط دليلاً في الهجرة، وكلهم على شركهم، كما لم

يستنكف الإفادة من الخبرة المتاحة حينها سواء من أصحابه أو من غيرهم، مما أعطى لجهوده فعالية خاصة وقوية، ويشهد على ذلك تقديمه أبا بكر للاتصال بالقبائل لعلمه بأنساب العرب وأحوالهم، وطلبه كذلك من عمه العباس الخروج معه إلى الأسواق ليدله على منازل أحياء العرب ليدعوهم، لأن عمه ذو وجاهة عند العرب، فكان ينظر إلى الكفاية والوفاء بغض النظر عن كونهم مسلمين أو مشركين.

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم رفضه المساومة والاستدراج، سواء أكان الأسلوب إغراءً أم تهديداً أم كيداً، وكلها لم تنفع في تغيير الخط المبدئي أو انحرافه للدعوة، فضلاً عن العناية الكبيرة بالتدابير الأمنية، فكثيراً ما كان يخرج في الليل المظلم ليعرض نفسه على القبائل أو يدعوها إلى الإسلام، كما خرج إلى الطائف راجلاً حتى لا تعلم قريش قصده، وتظهر براعته في ذلك في الأيام الأخيرة قبل الهجرة، فقد بايعه أهل المدينة في الشعب ليلا، وطلب منهم الإيجاز في الكلام وخفض الصوت، وفي منعه بعض الأنصار من مواجهة قريش لما بلغها الأمر. وأما تدابيره في الهجرة فكثيرة ومعلومة.

وأهم عنصر في منهج الحماية هو "المبدئية العالية" (ص ٤٢٠). لأن الموقف السلوكي هو محك مصداقية الفكرة وحاملها. فالمبدأ الذي لا يتجسد في حياة حامله يكون كصيحة في واد أو نفخة في رماد. ومن أمثلة ذلك أمره علياً بأداء الأمانات وإرجاعها إلى أهلها بعد هجرته، وكان بإمكانه أن يأخذها مقابلا للخسائر التي ألحقت بأتباعه ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، إلا أنه أعطاها أهميةً، تبرئة للذمة ووفاء بالعهد.

وأمّا منهج مواجهة تحديات القاعدة فقد كان منها طمأنة أصحابه على المستقبل، وتوطينهم على تحمل مكابدات الطريق، ولم يكن هو مستثنى من ذلك، كما مكّنهم من الاستفادة من أعراف المجتمع وتقاليده، كقبولهم الحماية من بعض وجهاء قريش، كما حاول الحد من ضغوط القوى المضادة مستفيداً من مكانة بعض أتباعه، وذلك بأمره أبا بكر بالخروج من مكة إلى الحبشة حتى يترك فراغاً ويحرج قريشا أمام القبائل

الأخرى، ومن ذلك أيضا تجميع قاعدة الدعوة بعد شتات دام طويلا، ومواصلة تكوينها، وفتح آفاق أمامهم، فكان يقول لهم: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، تملكوا بها العرب والعجم، وإذا متم كنتم ملوكا في الجنة" كما جعل الناس يحسون عن قرب بالعمق الإنساني الكبير في شخصيته عليه الصلاة والسلام، فمع الأذى الذي ألحقه به قومه إلا أنه كان يقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"

والعناية بالعلاقات الإنسانية حتى سجلها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

فكل هذه التي ذكرناها هي منجزات الدعوة. وعلى هذا لابد من آفاق لهذه الدراسة تكون بمثابة نتائج للدراسة، فقد لوحظ أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ميّزتها الخصائص التالية، وهي معالم منهجه صلى الله عليه وسلم:

١ـ المبدئية العالية.

٢ـ الواقعية في كل مراحل الإنجاز وخطوات السير.

٣ـ الفعالية، وهي القدرة على الاستفادة القصوى من الظروف والإمكانات المتاحة.

٤ـ الاستمرارية، وهي الاندفاع المنهجي المتواصل نحو الهدف مهما طالت التحديات واشتدت.

٥ـ الإحسان، وهو اتسام علاقاته صلى الله عليه وسلم بالناس بالروح الأخلاقية العالية.

٦ـ الاستعانة، وهي طلب العون من الله عز وجل بعد استفراغ الوسع والعجز عن بذل مزيد.

وفي الأخير نسأل الله أن يوفق كاتبنا إلى أن يستكمل الجزء الثاني من هذا العمل في رسالته للدكتوراه، وهو: "منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة في مرحلتها المدنية والمحافظة عليها".